هذه حالي وإن طال المدى * واعتبار الحال للمرء اختبار
عز إن الدهر عن طلاب النهى * والمنى فيها اختيار واضطرار
لا الهم الدهر حاشا وكما * أنعم المولى عن الدهر اعتذار
كعبة الآمال والركن الذي * للملا فيه استلام واعتمار
قد جلا خطب الليالي عزمه * مثل ما يجلو دجى الليل النهار
لم يكن للبحر أدنى نسبة * لم يلح للعين بر وقفار
وحماه ملتقى عيش المنى * لا سواه للندى مأوى ومجار
روض فضل يجتنى إحسانه * وكذا يجنى من الروض الثمار
أيها الأستاذ والمولى الذي * غرقت في سيبه البحار
لك أهدي نوبا من بعضها * يرتعل الجود وذو العقل يحار
حلو الشيبة في رعيتي * وكذاك البدر يغشيه السرار
فاغتنى من كره في الحشا * حرقة فيها وفي الطرف انكسار
وتمتع بقواف كرما * ما خلا النور عليها الجلنار
بدع قد أشربت ألفاظها * رقة النسيم والخمر العقار
كخدود الغيد تحمر حيا * وإذا شئت كما اخضر العذار
أنا حسان القوافي فإذا * فهت طاب الشعر وارتاح النجار
وإذا غنت أطيار الثنا * فأنا من بينها وحدي الهزار
ليس لي مال ولكن كلي * عسجد تبر ولا فيه نضار
لم أقل طالت وأطنبت بمدحي * فرجعا إليك عمد الدهر اختصار
فابق واعلا الناس جاها مذ أرى * ولك التحريك بالعز يشار
لك أهدي عيشة تختارها * ولأعدائك البلايا والدمار

وقد اكتفيت بما أثبته عن الباقي * وزدت بعدهن الحمرية المدح إلى الثاني

عبد الباقي بن محمد الشهير بعارف

بحر أنواع المعارف مائه * وأوج السعادة سماؤه * لم ير نظيره في المحاسن النواظر * لأن محاسنه ملأت القلوب والنواظر * له السبق الأشهر * ونطقه الياقوت والجوهر * استولى على العلوم * وألحق المجهول منها بالمعلوم * وأما الأدب وفنونه * فهو الذي تشير إليه عيونه * فالنسب إلى حفظه انتسب والإمام والأديب عنده سيان الأواخر والأول * وأما الأخبار فهو منشئ التاريخ ومؤرخ * وله استقصاء يعلم به الداء من ودرخ * وقد وفر الله له غاية الخط في محاسن الخط * فخطه نتيجة ما أودع الباري من مقدمتي البر واللفظ * كما دار القلم نور المقل * وحلي المعقول وحل المعقل * وقد اعتنق الأشعار والنهى * كما اعتنقت لام الكتابة ألفها * وجاءنا بن محمد سنج كدر من الثنايا المنظم في العقيق وتعقص من حبابها حرق النور ونحر خدود الشقيق * وكنت وأنا بالروم اجتمعت به مرات * ومشاهدة طلعته هي موسم أفراح ومسرات * فلما ورد دمشق كانت رؤيتي له ثانية

وفيها

١٥٨

وفيها بذلت على عرفات إقباله مدائحه * وشدت للمفاخرة في خدمته الرحال * وكنت معه بها في زمن كزمن الطفل * في أوقات كلها برؤيته نعيم وطلاوة * أتلو بها أوصافه على القلم فيسجد له سجدة تلاوة * وأنا أعلو من أنفاسه كل ذي حرفة * وينسيني الأولى منهما بالأخيرة

وتسهر عيني فيه والخلق نائم * كأني من خوف المكاره أحرسه

ولقد اشتهيت أن أحل كالجسم * ليكون لي من رؤيته وجه كل قسيم * وأنا إلى الله راغب * في تسهيل ما له من مطالب ورغائب * في أني أرغب في التوسل بطول عمره وارتقاء أمره * إلى أن يتم الاسم في شرفه * ويمتنع زيد من المعرفة * وحتى يشغل الجسم حيزين * ويحل في مكانين * وقد أخذت من أشعاره التي جاوز الشعرى رافتها * وكأنما نظم المحاسن عقد إلى ترابيها * ما لو عرض بتشبيهها بالحجاز * لعرت لها العرب العاربة بالإعجاز

نفائس لم تزل تتلى على ملأ * صدورها علمت منها قوافيها
يشري لها الراكب العجلان حاجته * ويصبح الحاسد الغضبان يرويها

فمنها قصيدة نبوية أولها

متى هتفت بالجزع ورق الحمائم * أثارت جوى قلب من الوجد هائم
سقى الله ساحات العقيق وبارق * بكل هتون الودق وطف سواجم
إذا بارق شمناه من نحو بارق * تأجج نار في الحشا والحيازم
لنا أنا مطوي الضلوع على الأسى * إلى كم هفا بكر الرجا والمعالم
ألا أيها الحادي ترفق بمهجتي * وبالعيملات الداميات المناسم
أحن ادكارا نحو منعرج الحمى * وأصبو إلى نجد اشتياقا للأناسم
تيسر لي الهوى أن أعفر جبهتي * بساحاتها تلك الربا والمعالم
المربات يا معطي المنى إن تجملت * مآرب أصحاب النفوس الأكارم
وهاج غرامي نحو مكة حيثما * تشد حزام المرسلات الرواسم
وذكرني مربع صار منشئا * لخير البرايا خير أولاد آدم
أدرك طيبة قد صار مأوى شفيعنا * حبيب الله بحر الجود والمكارم
محمد المبعوث بالبر والتقى * ومنبع شرف الدنيا مكارم
طراز رداء الفضل من شار يعرب * وإنسان عين المجد من آل هاشم
شفيع ذوي الآثام حيث بحبه * إذا جن آثام وضيق جرائم
ملائكة الرحمن أمست وأصبحت * تطوف زراه كالطيور الحوائم
وليس يساوي النجم سود بابه * فمن يقبل سقف السما بالدعائم
فمن كان يدري بافتخار الأنبيا * إلى جعل المسيح من غاصم
ولن يبلغ الأملاك في العرش شأوه * وكيف الخبر في مستوى بالقوادم
وفي ليلة الإسراء صار مشرفا * بأخمصه فوق السما والمعالم
وبعثته أضحت لكل مسلمة * كأيام ذي قار لجار الأراقم
ولولاه لم يوجد من الخلق واحد * هو السبب الأقصى لخلق العوالم

Copyright © King Saud University